مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد التاسع : ص ص 281-293 ISSN:2709-2097
04/04/2021

النكرة وأثرها في الجملة العربية

دراسة نحوية دلالية من خلال القرآن الكريم

The indefinite and its effect on the Arabic sentence: A Semantic grammatical study through the Holy Quran

د. عبد الكريم العمراني : أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي - المغرب
حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة محمد بن عبد الله – المغرب
العنوان الإلكتروني:
krimokarim@gmail.com

ملخص

يعد التنكير صفة من صفات اللغة العربية في مقابل التعريف، فالنكرة والمعرفة عنصران مهمان في تركيب الكلام، إذ هناك تفاضل في الاستعمال بينهما تبعا لما بينهما من فروق، وهذه الفروق هي التي يجرى على أساسها الاختيار.

وقد اقتصر البحث على النكرة دون المعرفة باعتبارها أصلا لها لأنها لا تحتاج في دلالتها إلى قرينة بخلاف المعرفة، مركزا في دراستها على دلالتها في القرآن الكريم بحكم إبهامها وشيوعها وعدم دلالتها على شيء بعينه وتحقيقها للمعاني الأضداد، كـ "التعظيم والتحقير والتقليل والتكثير والتخصيص والإبهام".

الكلمات المفتاحية: النكرة، المعرفة، التركيب والدلالة، التعظيم والتحقير ، التقليل و التكثير، الإبهام.

Abstract:The indefinite is an attribute of the Arabic language as opposed to the definite, for the indefinite and the definite are two important elements in the synthesis of speech, as there is a differential in usage between them depending on the differences between them, and these differences are on the basis of which selection is made.The research deals with the indefinite rather than the definite, as it is its origin and it does not require evidence in its connotation as opposed to the definite, focusing in its study on its connotation in the Holy Qur'an by virtue of its vagueness, its prevalence and its lack of its connotation of a specific thing and its realization of oppositional meanings, such as "glorifying, belittling, minimizing, multiplying, specializing and obscuring".

Keywords: the indefinite, the definite, syntax and symantics, glorification and belittling, minimizing and multiplying and obscuring…

1- مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد المصطفى وبعد، فتعد اللغة وعاء الفكر، ووسيلته للإبانة عما يختلج في نفس المتكلم من أفكار و معان، فهي مرآة الحضارة الإنسانية التي تنعكس عليها مفاهيم التخاطب بين البشر، ووسيلة للتواصل السهل، لذا كان الاهتمام بها في العهد الأول للإسلام آلية تقود إلى معرفة القرآن الكريم ومعجزاته، وما تزال إلى الآن الآلية الصحيحة لذلك.

ويعد القرآن معجزا ومتحديا بتركيبه وبنائه، الذي عكف عليه الدارسون لاستكناه أسراره وبيان إعجازه، من ذلك اختياره للتنكير عوض التعريف في مواضع دون أخرى، فمسألة الاختيار تُبرز أنّ هناك فروقا بين هذين العنصرين يجري على أساسهما الاختيار. ومن تلك الفروق، اختلاف العنصرين في علاقتهما نحويا بما يساندهما أو يتعلق بهما من ألفاظ، فضلا عن اختلافهما فيما يحملانه من معان ودلالات؛ وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا؛ لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تُعَرَّفُ به، فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة"[1]، ومن هذا النص يتبين أن النكرة والمعرفة عنصران مهمان في تركيب الكلام، إلا أن هناك تفاضلا بينهما في الاستعمال تبعا لما بينهما من فروق كالخفة والتمكن في النكرة دون المعرفة.

أهداف البحث: لذلك حاولت هذه الدراسة أن تربط النحو بالمعنى مسلطة الضوء على ظاهرة التنكير باعتبار النكرة أصلا، فهي لا تحتاج في دلالتها إلى قرينة، بخلاف المعرفة، ثم إن دراستها هنا لا تركز بالأساس على الدراسة النحوية التي تقتصر على تمييز الفرق بينها وبين المعرفة فقط، أو بيان المواضع التي ينبغي فيها تنكير الاسم، و إنما هي دراسة نحوية دلالية، تنطلق من البنية (النكرة) لتبرز الغاية الدلالية من وراء ذلك (دلالتها في القرآن الكريم)؛ فالنكرة بحكم إبهامها وشيوعها وعدم دلالتها على شيء بعينه تحقق معان تعجز عن تحقيقها المعرفة.

الإشكالية: فما هي الأسباب الداعية لاختيار التنكير عوض التعريف في القرآن الكريم؟ وهل لذلك أثر على المعنى؟

المنهج المعتمد: وقد اتخذت المنهجين الوصفي والتحليلي معا في الدراسة، تبعا لما قام عليه البحث من تنظير وتطبيق فالمنهج الوصفي يعنى بجانب التنظير في إثبات أحكام النحو أو المتغيرات

---

[1] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط:3، 1990، 4/1.

فيه، والمنهج التحليلي يعنى بأثر هذه المتغيرات في المعنى، وإنما اقترن المنهجان لتحقيق هدف البحث في الوصل بين النحو والمعنى.

الدراسات السابقة: ورغم أهمية النكرة والمعرفة إلا أن موضوع التنكير لم يلق اهتماما من لدن الباحثين، اللهم بعض الدراسات القليلة كدراسة محمود عبد الله الموسومة ب" أثر ظاهرة التعريف والتنكير في السياق اللغوي" وهي دراسة تقتصر على الجانب النحوي ولم تعن بربط النحو بالمعنى.

2- تعريف النكرة لغة واصطلاحا

النكرة لغة: ترجع إلى الجذر الثلاثي (نَكِرَ)، يقال: نَكِر فلان يَنْكَرُ نَكَراً، و نُكْراً، ونَكارَة: فطِنَ وَجَاد رأيُه، والنُّكر والنّكراء: الدّهاء والفطنة، والأمر الشديد الصعب؛ ونَكِرَ الأَمرَ نَكِيراً وأَنْكَرَه إِنْكاراً ونُكْراً: جهله؛ والمُنْكَرُ من الأَمر: خلاف المعروف[2].

واصطلاحا: ذكر الخليل أن النكرة "نقيض المعرفة"[3]، وهذا كلام يدل على أن النكرة لم يكن لها حَدٌّ واضح، وكذلك الشأن عند سيبويه فلم يضع لها حداً، إلا أننا نجد بعض الإشارات إلى معناها، من ذلك قوله: "وأما الألف واللام فنحو البعير والرّجل والفرس وما أشبه ذلك، وإنما صار معرفةً لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمّته، لأنك إذا قلت مررت برجل فإنك إنما زعمت أنك إنّما مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكّره رجلا قد عرفه"[4]، ويتضح أن النكرة عند سيبويه هي ما دل على شيء غير معين في جنسه للمخاطب. وذكر المبرد أن النكرة "ما لم يخُصّ الواحدَ من أمّته"[5]، وهو حد يرجع إلى المعنى، فكل ما كان شائعا في جنسه ولا يراد به معيّن فهو نكرة، وقد دارت تعريفات النحاة في فلك هذا المعنى، لذلك

---

[2] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية – بيروت،ط:1، 2003، 9/ 282- 285

[3] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، بغداد- العراق، ط: 1986، (نكر) 355/5

[4] الكتاب 256/1

[5] ينظر المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب تحقيق عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت-لبنان،ط:1، 1996 276/4

يمكن القول: إن النّكرة هي: "ما شـــاع في جنس موجود في الخارج تعدده، أو مقدر وجود تعدده فيه"[6] فهي لفظة مبهمة شائعة لا تدل على شيء بعينه؛ وقد وضع النحاة لها ضابطا هو قبولها "الألف واللام" مؤثرة فيها التعريف، نحو لفظة "رجل" فهي نكرة، وتقبل الألف واللام فتصـير إلى التعريف "الرجل" وهي معرفة[7]. ورغم ذلك لا يمكن الجزم بوجود حد جامع مانع لها، لذلك وضـع النحاة مجموعة من المعايير للتفريق بن المعرفة والنّكرة.

3- المعايير الدلالية للتعريف والتنكير:

اعتمد النُّحاة في حكمهم على تعريف الكلمة أو تنكيرها بشـكل أسـاسـي على الجانب الدلالي، وذلك من خلال ثلاثة معايير:

3-1 التعيين والشيوع:

وهو عنصر أساسي عند النحاة جميعهم في الحكم على تعريف الكلمة أو تنكيرها، فالمعرفة: ما دلَّ على معيَّن في جنسه، و النكرة: ما دل على شائع في جنسه، إلّا أنّ بعض الكلمات تدل على مُعَيَّن غير شـائع، نحو: " شـمس و قمر"، ولكن النحاة عدوها نكرات، وللخروج من هذا المأزق فإنهم يقدّرون الشـيوع في هذه الكلمات، فيقولون: النَّكرُة ما شـاع في جنسٍ موجودُه مقدرٍ. و إنما تنسـب العرب إليهما التعدد باعتبار الأيام والليالي، وإنْ كانت حقيقتهما واحدة، فيقولون شـــمسُ هذا اليوم أحرُّ من شـــمس أمس، وقمر هذه الليلة أكثر نورا من قمر ليلة أول ذلك الشهر[8].

3- 2 عِلْمُ المُخَاطَب:

ويأتي هذا المعيار ثانيا من حيث اهتمامُ النحاة به، فيقولون: ما دلَّ على مُعَيَّن أو غير معيّنٍ، بالنسبة للمخاطَب دون النظر إلى المتكلم، فإذا كان معيّنا في ذهن المخاطب فهو معرفة وإلا فهو نكرة، وقـد أشـــار ســـيبويـه إلى هـذا المعيـار عنـد حـديثـه عن الضـــمـائر فقـال: "وإنما صار الاضمار معرفة لأنك إنما تضمر اسما بعد ما تعلم أنّ من تحدّث قد عرف من تعنى أو ما

---

[6] الفاكهي، عبد الله بن أحمد بن علي، شـرح الحدود النحوية، تحقيق زكي فهمي الآلوسـي، الموصـل، (د. ت)، ص:64.

[7] ينظر ابن عقيل، عبد الله بهاء الدين، شـــرح ابن عقيل، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث: القاهرة ط:2، 1999، 86/1 .

[8] ينظر الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:1، 2000، 93/1

تعنى وأنّك تريد شـــيئا بعينه"[9]، و إنما صـــار الإضـــمار معرفة "لأنك لا تضـــمر إلا بعدما يَعرِفه السامع"[10]

3-3 الإشارة للخارج:

فالمقصـود بالإشـارة هو القصـد إلى ما ثبت في ذهن المخاطب من دلالة اللفظ على المدلول، والخارج: هو ما في خارج الذهن وهو الوجود والواقع، من ذلك ما ذكره الرضـــي في التمييز بين النكرة والمعرفة بقوله: "والأصْرَحُ في رسم المعرفة أن يقال: ما أشير به إلى خارج مختص إشارة وضعية"[11]، والنكرة عنده ما لم يوضع للإشارة إلى خارج مختص إشارة وضعية.

4- دلالة النكرة في القرآن الكريم

إنّ للنكرة موقعا خاصـــا في الكلام، فهي تفيد معاني مختلفة قد لا تحققها المعرفة، ولكن قبل الوقوف على تلك المعاني تجدر الإشارة إلى أن النكرة قد تحقق إيجازا في بنية التركيب مع المعنى الذي هي فيه، وذلك إذا ما وصـــفت بجملة، فإنها تتلوها مباشـــرة، من دون واســـطة بينهما؛ لأن الجمل في الأصل نكرات، بخلاف المعرفة فلا يجوز وصفها بالجملة إلا بواسطة الاسم الموصول مما يجعلها بنية لا سبيل فيها إلى الإيجاز.

وبهذا الفهم يمكننا أن نفسـر إيثار النكرة على المعرفة حال كونها موصـوفة بجملة، فإن الإيجاز هو أهمّ مقصـــد وغرض تحققه تلك النكرة، وبيان ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿وَسَـــارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُـــهَا السَّـــمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:133]، فلو قدر مجيء "مغفرة" وَ"جنة" معرفتين للزمتا الاســـم الموصـــول بينها وبين صـــفتها مع زيادة نحوية في الصـــفة تتمثل في الضمير العائد على الاسم الموصول، فيكون الكلام "وسارعوا إلى المغفرة التي هي من ربكم والجنة التي عرضـــها الســـماوات والأرض" بيد أن النكرة أغنت عن هذا الإطناب، وحققت الإيجاز في بنية الآية، ولا سيما أنها بنيت من أول لفظ عليه، وهو قوله :" وسارعوا" .

وفضـــــلا عن ذلك، فإن المعنى مختلف بين كل من البنيتين، فالذي في الآية تقريب مغفرة الله وجنته من العباد من خلال تتابع الصـفة والموصـوف دون ذكر واسـطة بينهما، ولعل هذا هو المراد، إذ

---

[9] الكتاب 257/1

[10] المبرد، المقتضب: 280/4

[11] الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، ط:2، 1996، 235/3

بدأت الآية بالأمر بالمسارعة إليها والترغيب فيها.

ومما حققته النكرة من إيجاز فضلا عن المعنى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمان:35]، فقد حققت النكرة إيجازا متناسبا مع الآية والسورة كلها، إذ بنيتا على الإيجاز أيضـــا، فإيجاز الآية يتبين ابتداء من حذف الفاعل وبناء فعله للمفعول، وإيجاز السورة مبني على قصر آياتها، وإن هذا التنكير أيضا إيحاء بسرعة إرسال الشواظ، فضلا عن كثرته، وهذا كله لا يتحقق بوقوعه معرفة، فيقال على سبيل المثال : "يرسل عليكما الشواظ الذي هو من نار والنحاس"، فواضح منها عدم اشتمالها على الإيجاز، ولذا فإنها لا تحقق تناسبا مع السياق العام؛ لأنه مبني على الإيجاز – كما ذكرنا – ثم إنها لا تحقق المعنى نفســـه في الآية؛ لأن التعريف لا يوحي بسرعة أو تكثير.

ومما حققته النكرة من إيجاز يتناســب وإيجاز الآيات ضـــمن ســياقها العام ، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطور:1-2-3] فالآيات موجزة؛ وذات إيقاع سريع، ولا شك في أن تنكير الكتاب هو المؤدي إليه، بخلاف ما لو أتى معرفة، فإنه سيحول دون وقوع الآية بعده بهذا الإيجاز؛ لأنها جملة صـفة له، فلا يجوز أن تأتي إلا والاسـم الموصـول في صـدرها، فيقال مثلا: "والكتاب المسطور الذي في رقّ منشور" وهذا مختلف إيجازا وإيقاعا، عما عليه الآيات من إيجاز وإيقاع.

ومن حيث الإعراب أيضـــا، فالنكرة تحقق إيجازا وفهمَ المعنى إذا وقعت مفردة بعد كلام في الإخبار، إذ تثبت أنها خبر مبتدؤه محذوف يعود على ذلك الإخبار، فتحقق بذلك الإيجاز وفهم المعنى، بخلاف وقوع المعرفة، فلا يتعين كونها خبرا إلا بمجيء المبتدأ معها، إذ يجوز وقوعها مبتدأ أيضـا، فلا يعرف حكمها إذا وقعت مفردة، مما يجعلها تثير لبســـا في المعنى ، وإذا أريد تعيين حكمها خبرا وجب ذكر المبتدأ معها، فلا يتحقق منها عندئذ الإيجاز، ويمكن تبيين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:196-197]، فوقوع "متاع" نكرة جعل حكمها خبرا ، مبتدؤه محذوف، تقديره "ذلك" إشارة إلى ما سبق من كلام، إذ إن رتبة النكرة الإخبار، ولا يجوز الابتداء بها إلا بشـــروط، ولذلك كان الخلاف بين النحاة في تعيين الخبر

من المبتدأ إذا كانا معرفتين[12] ، ولم نشهد لهم خلافا إذا كان أحدهما نكرة والآخر معرفة .

أما المعاني المحضـــة التي تدل عليها طبيعة اللفظة – بحد ذاتها – فمتعددة ومتباينة، ولعل معظمها مســـتمد من تعريفها المتمثل في عدم دلالتها على شـــيء بعينه، ولذا نجدها تحقق المعاني الأضـداد في الكلام ، كـــ"التكثير والتقليل ، والتعظيم والتحقير، والعموم والنوعية"[13]، وإنما الذي يحدد المعنى إحدى قرينتين: أولاهما، خاصـة تتمثل في وقوع النكرة ضـمن لفظ معين خاص، وأخراهما، عامة تتمثل في وقوعها– أي النكرة – ضمن السياق بوجه عام .

- **التكثير:**

فمِن إفادته النكرة تكثيرا مجيئها غالبا في الأســـماء الدالة على الجمع، نحو قوله تعالى :﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان:25-26] فـ"جنات وعيون وزروع" نكرات أفدن معنى التكثير، وفي ذلك توبيخ لهم لتركهم هذه الكثرة من الأشياء .

وقد تقترن النكرة بلفظة ذات دلالة على الزيادة مما يجعلها تفيد المبالغة في دلالتها، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق:30]، فاختيار التنكير مع لفظة "مزيد" يكشف عن معنى التكثير بصورة بالغة لإفادة الترهيب .

- **التقليل:**

وأما إفادة النكرة من معنى التقليل ، فيكون غالبا في اقترانها باللفظة الدالة على الإفراد ، نحو قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:1] وموطن الشاهد هو قوله "ليلا" بصيغة التنكير؛ وذاك لـــ "تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة"[14] ومما يحقق ذلك أن "ليلا" في اللغة لا تطلق على

---

[12] ينظر ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء، شـــرح المفصـــل، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية– بيروت، ط:1، 2001، 99/1 ، ابن هشـام الأنصـاري، عبد الله جمال الدين مغني اللبيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني– القاهرة، (د.ت)، 451/2 .

[13] ينظر القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن ســـعد الدين بن أبي محمد عبد الرحمن، الإيضـــاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1405/1هـ – 1985م، ص: 50 – 51 .

[14] الزمخشـري، جار الله محمود بن عمر، الكشـاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، ط1403/1هـ – 1983م، 436/2

جميع الليلة ، " بل إن كل جزء من أجزائها يسمى ليلا"[15] وهذا تأكيد لحقيقة الإسراء .

ومن الإفادة نفسها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:46]، فإفراد "نفحة" وتنكيرها جعلها غاية في القلة؛ ولعل لذلك أثرا في المعنى والسياق، إذ إن هذا الإفراد والتنكير وصف بليغ للعذاب الشديد، من حيث أن قليله جعلهم في حسرة واعتراف بظلمهم، فمن باب أولى أن كثيره أشد وأقوى، ويمكن القول، إن مجيء "نفحة" مستعارة من نفح الطيب أو الريح هو مبالغة في ذلك الوصف أيضا، بمعنى أن هذه النفحة مع كونها واحدة وهادئة ولكن فعلها فعل شديد .

- **التعظيم:**

وهو ليس كمعنى التكثير نحو ما ذهب إليه بعض البلاغيين[16]، فهناك فرق بين وصف الشيء بالعظمة ووصفه بالكثرة، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:36-37]، ففي الآيتين نكرات أفدن معنى التعظيم وهن: "بيوت ورجال ويوما" وتوجيه ذلك مع المعنى، هو أن" بيوت الله" عظيمة وواجب تعظيمها وإعلاء شأنها وعبادة الله فيها، و"رجالها" ذوو شأن عظيم أيضا، إذ انتهوا عن التجارة والبيع حين الصلاة تعظيما لها ولبيوت الله ، وخوفا من ذلك "اليوم العظيم".

وهناك نكرتان أفادتا معنى التكثير، وهما" تجارة وبيع"، ولعل هذا المعنى يزيد في وصف أولئك الرجال، من حيث إنها مع كثرتها لا تلهيهم عن ذكر الله، ولذا أفرد كلمة "بيع" من باب عطف الخاص على العام؛ لتأكيد هذا الشيء.

فواضح إذن، أن تحديدنا معنى التعظيم جاء مستمدا من صفات تلك النكرات، وأن معنى التكثير جاء من دلالة النكرة ضمن السياق ، ونزيد أيضا في بيان الفرق بين هذين المعنيين أن التعظيم في النكرات الأولى دعوة لتعظيم بيوت الله واقتفاء أثر رجالها، وأما التكثير، فلا يدل سوى على الإخبار بكثرتهم دون العناية بصفتهم .

ومن إفادة النكرة معنى التعظيم أيضا ما جاء في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا

---

[15] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة ، ط1/1967م ، 191/1 .

[16] ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 52.

يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية:14] فمع أن "قوما" تدل على أناس معروفين وهم الذين آمنوا، بيد أن وقوعها نكرة يبرز فيها معنى التعظيم، أي تعظيم شأنهم فكأنه قيل : "ليجزي قوما، وأي قوم من شأنهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرع المكروه"[17].

- **التقليل والتعظيم**

وقد تدل على التقليل والتعظيم في الآن نفسه، نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:72]، فإذا كان أصحاب المعاني مختلفين في توجيه معنى هذا التنكير بين أن يكون للتقليل، أي وشيء من رضوان الله أكبر[18]، أو أن يكون للتعظيم، أي لهم رضوان من الله عظيم[19]، فإني لا أرى تناقضا بين المعنيين، بل كلاهما مقصود من حيث إن الرضوان على قلته فهو أكبر وأعظم من تلك الجنات، فكيف بالكثير منه، ومن هنا تتبين أهمية قصد المعنيين، إذ إن قصد التقليل يزيد في معنى التعظيم، بخلاف ما لو اقتصرنا على أحد المعنيين، فإنه لا يؤدي تلك الدلالة القائمة على أساس من التشريك بينهما.

وقد تفيد النكرة التعظيم والنوعية نحو ما جاء في قوله تعالى :﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:172] ففي تنكير "حياة" إيجاز قصر؛ لقلة لفظه وسعة دلالاته ومعانيه، فهو ذو دلالة على التعظيم والنوعية، فأما التعظيم فـ "لأن المعنى، ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص آيات عظيمة ؛ وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة "[20]، وأما النوعية فلأنها "الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل؛ لأنه إذا همَّ بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين"[21].

- **التحقير:**

---

[17] ينظر الكشاف، 288/4.

[18] ينظر الكشاف، 290/2.

[19] ينظر التنوخي، عز الدين، تهذيب الإيضاح، مطبعة الجامعة السورية، 1949م، 158/3.

[20] الكشاف، 222/1.

[21] المصدر نفسه، 222/1.

ونقيض التعظيم هو التحقير، وهو غير التقليل نحو ما ذهب إليه بعض البلاغيين أيضـــا[22]؛ للسبب نفسه – الذي ذكرناه آنفا – ومما جاء عليه قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَـوَّى﴾ [القيامة:37-38] فتنكير " نطفة وعلقة" دل على تحقيرها، وهي موافقة لمعنى الآية التي ابتدأ سـياقها بتهكم واسـتهزاء، فتبين أن التنكير هنا لم يقصـد منه التقليل؛ لأن التهكم ما كان من خلقهم من شيء قليل، بل كان من خلقهم من شيء مهين .

- **التخصيص**

ومن المعاني معنى التخصيص، وهو تقليل الاشتراك ورفع الاحتمال[23]؛ لتأكيد شيء مخصوص وإرادة نوع بعينه، ومما جاء على ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة:96] فتنكير "حياة" دل على كونها من نوع خاص ، وهي الحياة المتطاولة التي يعمر فيها الشـــخص آلاف السنين ، وفي ذلك ذَمّ لهم، إذ يعلمون سوء مصيرهم بعد الموت[24].

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:1-2] فقد نكر "ليالٍ" لتفيد معنى التخصـيص في أكثر من جانب، فقد قيل : لأنها ليال مخصـوصـة من بين جنس الليالي ، ولا سيما أنها وصفت بـ"عشر"، وقيل أيضا : لأنها مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها[25] .

- **العموم والإطلاق**

وقرين التخصيص وإرادة النوع هو العموم والإطلاق، إذ قد تدل النكرة على شيء مطلق لا يراد منه تعيين أو تخصـيص ، ومما جاء على ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَـى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة:67]، فتنكير "بقرة" دلالة على مطلق الاختيار لهم إذ لم يحددها بنوع أو يخصـصـها بوصف، ولا شك في أن النكرة هي الدليل عليه.

ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:59] فلفظة "شيء" موغلة في العموم والإطلاق، وتنكيرها زادها إيغالا[26] ليرد أي شيء

---

[22] ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 52.

[23] ينظر التفتازاني، سـعد الدين بن مسـعود بن عمر بن عبد الله، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح- مصر، (د.ت)، 77/1.

[24] ينظر الكشاف، 298/1 .

[25] ينظر الكشاف، 746/4 .

[26] ينظر بن عاشور، محمد الطاهر، مطبعة الدار التونسية للنشر، (د.ت)، 99/5 .

متنازع فيه إلى الله والرسول .

- **الإبهام**

وقد تحقق النكرة معنى الإبهام نحو قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَـــيْءٍ نُكُرٍ﴾ [القمر:6] أي إلى أمر فظيع هائل[27] ، ومنه قوله أيضـا : ﴿يَوْمَ يُكْشَـفُ عَنْ سَـاقٍ﴾ [القلم:42] فتنكير "ساق" دلالة على أنه أمر مبهم في الشدة خارج عن المألوف[28] .

وأخيرا، فقد تدل النكرة على أكثر من معنى في اللفظ نفسه بحسب وقوعها في السياق، ومن ذلك مجيئها دالة على "التعظيم والتكثير" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر:4] "أي رسل ذوو عدد كثير ؛ وآيات عظام"[29].

5- خاتمة:

بعد هذه الجولة التي تم من خلالها تسـليط الضـوء على ظاهرة التنكير وأثرها في الدلالة من خلال آيٍ القرآن الكريم، لا يمكن القول إن البحث قد أحاط بكل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بدراسة النكرة، لأنها مسألة لا تستوعبها بضع صفحات، ومع ذلك خلص البحث للنتائج التلاية:

- إنّ النكرة أصل، فهي لا تحتاج في دلالتها إلى قرينة، بخلاف المعرفة.
- إنّ للنكرة موقعا خاصـا في الكلام، فهي تفيد معاني مختلفة قد لا تحققها المعرفة، إلا أن أهم شيء تقوم به هو تحقيق إيجاز في بنية التركيب مع المعنى الذي هي فيه.
- من المعاني التي تضـطلع بها النكرة في السـياق القرآني: معنى التكثير والتقليل والتعظيم والتحقير، والتخصيص والعموم والإطلاق، والإبهام.

6- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن عقيل، عبد الله بهاء الدين، شـرح ابن عقيل، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث: القاهرة ط:2، 1999.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية – بيروت،ط:1، 2003.

[27] ينظر الكشاف : 594/4 .

[28] ينظر الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1978، 316/8 .

[29] الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 52 .

- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء، شـــرح المفصـــل، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:1، 2001، 99/1 ، ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين مغني اللبيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني- القاهرة، (د.ت).
- الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 2000.
- الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، ط:2، 1996.
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1978.
- بن عاشور، محمد الطاهر، مطبعة الدار التونسية للنشر، (د.ت).
- التفتازاني، ســعد الدين بن مســعود بن عمر بن عبد الله، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح- مصر، (د.ت).
- التنوخي، عز الدين، تهذيب الإيضاح، مطبعة الجامعة السورية، 1949م، 158/3
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، ط1/1403هـ – 1983م.
- ســيبويه، أبو بشــر عمرو بن عثمان، الكتاب، مؤســســة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط:3، 1990.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة ، ط1/1967م.
- الفاكهي، عبد الله بن أحمد بن علي، شرح الحدود النحوية، تحقيق زكي فهمي الآلوسي، الموصل، (د. ت).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، بغداد- العراق، ط: 1986.
- القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن أبي محمد عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1/1405هـ – 1985م.
- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب تحقيق عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت-لبنان،ط:1، 1996.